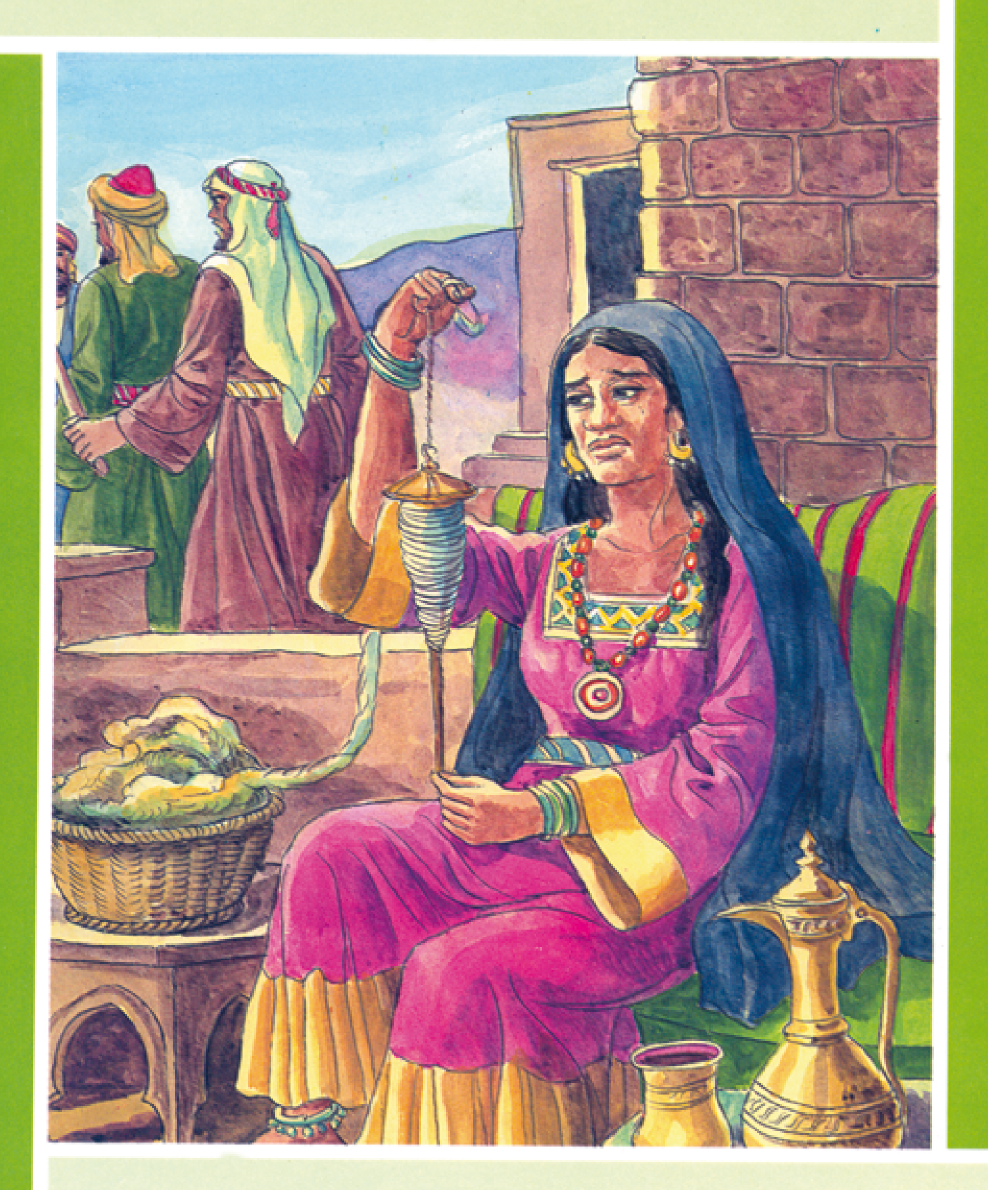
آيات وقصة

التي نقضت غزلها

أطفالنا
في رحاب
القرآن
الكريم







رزق هيبة

أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة
٧٢

التي نقضت غزلها

رزق هيبة

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥
٦ أ شارع جواد حسنى - ت: ٢٣٩٣٠١٦٧
www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

«أولادنا»

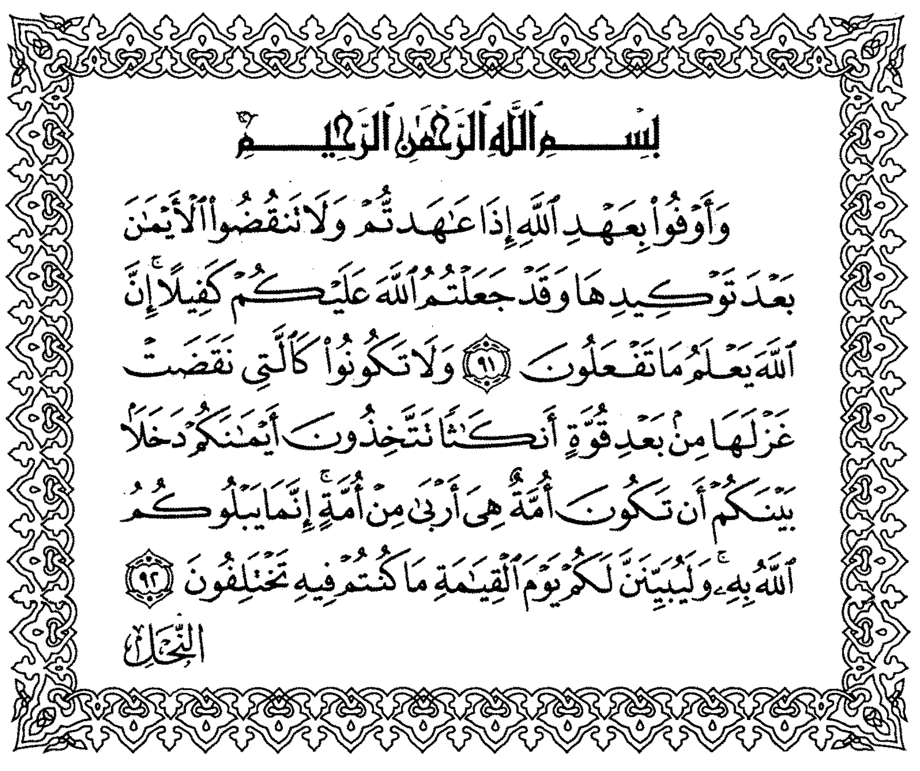
أمانة غالية، نعمة اللَّه، أمرنا بالحفاظ عليهم، ورعايتهم بالتربية السليمة. . وهذه السلسلة:

– تربِّى أولادَنا تربية إسلاميَّةً تعتمدُ عَلَى هُدًى مِنْ كِتابِ اللَّه «القرآن الكريم» تعرِضُ القصصَ على حسَبِ ترتيب المصْحَف لتكوِّنَ فى النهاية «التفسيرَ القصَصىَّ للقرآنِ الكريمِ للناشئينَ» وهمْ فى حَاجَةٍ ماسَّةٍ إلَى هذا التفسير الذى يَصِلُهمْ بماضِيَهُمْ العريقِ، ويعدُّهُمْ لحاضِرِهمْ ومُسْتَقْبَلِهِمْ.

– وفى هذه الطَّبعة الجَديدَة حَرصْنَا أنْ تكونَ الفائدةُ أكبَر، فقدَّمنا فِى آخرِ كلِّ قصَّة ملحقًا منْ شقَّيْنِ. . الشقُّ الأوَّلُ عدَّةُ أَسْئلَة تَحْفِزُ القَارِئَ عَلَى أنْ يُعِيدَ القراءَةَ ويتأمَّلَ القصَّةَ جَيداً ليجيبَ عن هذه الأسئلَة، فتستقرَّ المعَانى فى ذِهْنه، ويزيدَ عِلْمًا بمَا فيها مِنْ قِيمَةٍ دينيةٍ هى الثمرةُ التى نَرْجُوْهَا من نشْر هذِهِ القصَصِ.

– أما الشقُّ الثانى من الملحَقِ فهوَ دُروسٌ فى قواعد اللغَة العربيَّة «علم النَّحْوِ» إذا تَتبَّعهَا القَارئ دَرْسًا بَعْدَ درسٍ من بدايَة السِّلْسلة إلَى آخرِهَا يَصيرُ عَلَى علْمٍ بالحدِّ الأدْنَى منْ قواعد النحوِ التِى لا يَنْبَغِى لقَارِئ أنْ يجهلَها، فيستقيمَ لسَانُهُ، وتسلَمَ قراءَتُهُ مِنَ اللَّحْنِ والخطَأ. .

وبهذه القصَصِ وما يَتبَعُهَا من دُروسٍ فى اللغَة نكونُ قَد حصلْنَا عَلَى فَائدة مزدوَجَة، منْ قيمٍ دينيةٍ ومعرفَةٍ بقواعد لغتنَا، وَهُوَ مَا يَنْبَغى أنْ نربى عَلَيْه أجْيَالَ أبْنائنَا القَادمة. . فنستعيدَ مجدَ الماضى عَلَى أسُسٍ مِنْ حَضَارَةِ المسْتَقْبَلِ. . ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** (٧٤)﴾ [الفرقان].



معانى الكلمات:

١– **عَهْدُ اللَّه**: ما يكون بين الناس من عهود يلتزمون الوفاء بها بالعدل والإحسان.

٢– **ولا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ**: لا تغدروا وتمتنعوا عن الوفاء بالعهود أو الأيمان التى أقسمتم بها.

٣– **بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**: بعد تشديدها وتغليظها، وقال المفسرون: التوكيد هو أن يحلف الإنسان على شىء واحد، ويكرر يمينه فيقول: والله لا أنقض هذا الشىء من كذا، ويكرِّر ذلك القول ثلاث مرات أو أكثر.

٤– **وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً**: أى أشهدتم الله على عهودكم ومواثيقكم.

٥– **نَقَضَتْ غَزْلَهَا**: نقض الغزل هو فك خيوطه، ونقض اليمين أو العهد، هو الرجوع فيه، سواء كان صاحب العهد فردًا أو جماعة، وفى هذه الجملة تشبيه الإنسان الذى يعاهد عهدا ثم ينقضه، بالمرأة الحمقاء التى تقضى يومها فى غزل الصوف أو القطن، ثم تعود بعد تعبها فى العمل فتنقض هذه الخيوط، فتعود كما كانت صوفًا أو قطنا منفوشًا لا تستفيد به فى شىء.

٦– **دَخَلا**: ويسمى أيضًا دَغَلاً، وهو الغش والخديعة.

٧– **يَبْلُوكُمْ اللَّهُ بهِ**: يختبركم ويمتحنكم.

فِى سَهْرَتِهَا الإِيمَانِيَّةِ الْمُثْمِرَةِ كَانَتْ الأُسْرَةُ لا تَزَالُ فِى رِحَابِ القُرْآنِ الكَرِيمِ، تَتْلُو آيَاتٍ مِنْ سُورَةِ النَّحْلِ، وَبَعْدَ أن انْتَهَى أشْرَفُ مِنْ تلاوَتِه، قَالَ الوَالِدُ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْكَ يَا بُنَىَّ، وبَارَكَ فِيكَ وَفِى إِخْوَتِكَ، وَالآنَ بَعْدَ هَذِهِ التِّلاوَةِ الْمُبَارَكَةِ، تَعَالَوْا نَلْتَقِطْ آيَاتٍ مِمَّا تَلَوْنَاهُ نَعِيشُ فِى ظِلالِهَا، وَنَتَدَبَّرُ مَعْنَاهَا، وَأقْتَرِحُ أنْ تَكُونَ سَهْرَتُنَا مَعَ هَذِهِ الآيَةِ الَّتِى تُنِيرُ الوِجْدَانَ، وَتُضِىءُ الطَّرِيقَ لِلْبَشَرِ، كَىْ يَسْتَمْسِكُوا بِمَحَاسِنِ الأَخْلاقِ، وَمَكَارِمِ الفِعَالِ، وَعَلَى رَأسِهَا الوَفَاءُ بِالْعَهْدِ، فَقَدْ ذَكَرَ النَّبِىُّ ﷺ علامَاتِ النِّفَاقِ الَّتِى قَدْ يُبْتَلَى بِهَا بَعْضُ البَشَرِ، وَأخْطَرُهَا أنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا وَعَدَ أخْلَفَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ.

قَالَ أشْرَفُ: لَعَلَّ وَالِدِى يَقْصِدُ هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ الَّتِى يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ **أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ** ﴾.

قَالَ الوَالِدُ: حَقٌّ تِلْكَ هِىَ الآيَةُ الكَرِيمَةُ الَّتِى أَقْتَرِحُ أنْ نَعِيشَ فِى ظِلِّهَا فِى لَيْلَتِنَا هَذِهِ.

قَالَ أيْمَنُ: كُلُّنَا آذَانٌ مُصْغِيَةٌ، وَقُلُوبٌ وَاعِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَنَدْعُوهُ جَلَّ شَأنُهُ أنْ يَهْدِىَ قُلُوبَنَا، وَيَجْعَلَ التَّوفِيقَ حَلِيفَنَا فِى كُلِّ مَا نَقُولُ وَمَا نَعْمَلُ، حَتَّى نُكْتَبَ عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ مِنَ الْمُوفِينَ بِالعُهُودِ.

قَالَتِ الأُسْرَةُ كُلُّهَا فِى نَفَسٍ وَاحِدٍ: اللَّهُمَّ آمِين.

قَالَ الوَالِدُ: إِنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَلْتَزِمُ بِعَهْدٍ مَعَ إِنْسَانٍ، وَرُبَّمَا جَاءَ وَاحِدٌ مِمَّنْ يَكْرَهُونَ أحَدَ الْمُتَعَاهِدَيْنِ، فَيُوحِى إِلَيْهِ بِالغَدْرِ وَنَقْضِ العَهْدِ، وَيُغْرِيه بِأنَّهُ سَيُعَاهِدُهُ وَيَتَحَالَفُ مَعَهُ ضِدَّ الآخَرِينَ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ فِى الْمُجْتَمَعِ، أَكْثَرُ مَالاً وَأعَزُّ نَفَرًا، وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ** ﴾ فَالْمَعْنَى العَامُّ لِلآيَةِ الكَرِيمَةِ

هُوَ دَعْوَةُ النَّاسِ جَمِيعًا دَعْوَةً بِأَنْ يَكُونُوا مِنَ الأَوْفِيَاءِ بِعُهُودِهِمْ، سَوَاءٌ كَانَ العَهْدُ بَيْنَ إِنْسَانٍ فَرْدٍ وإِنْسَانٍ آخرَ، أمْ كَانَ بَيْنَ جَمَاعَةٍ وجَمَاعَةٍ أُخْرَى، وَألا يَنْقُضَ النَّاسُ عُهُودَهُمْ طَمَعًا فِى قُوَّةٍ أشَدَّ، أوْ مَالٍ أَكْثَرَ، حَتَّى العُهُودُ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِى الجَاهِلِيَّةِ يَجِبُ أنْ تَسْتَمِرَّ بَعْدَ الإِسْلامِ، مَا دَامَتْ تَتَضَمَّنُ التَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى، لا التَّعَاوُنَ عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَهَلْ كَانَ فِى الجَاهِلِيَّةِ عُهُودٌ مِثْلُ ذَلِكَ؟

قَالَ الوَالِدُ: نَعَمْ، كَانَ فِى الجَاهِلِيَّةِ أحْلافٌ وَمُعَاهَدَاتٌ، بَعْضُهَا آثِمٌ، لا يَرْضَاهُ اللَّهُ، وبَعْضُهَا كَانَ يَقُومُ عَلَى أساسٍ مِنْ نُصْرَةِ المَظْلُومِ وَمُسَاعَدَتِهِ عَلَى أَنْ يَنَالَ حَقَّهُ مِنْ ظَالِمِهِ، مِثْلُ حِلْفِ الفُضُولِ الَّذِى عُقِدَ فِى مَكَّةَ فِى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ.

قَالَ أَشْرَفُ: وَمَا قِصَّةُ ذَلِكَ الحِلْفِ يَا أَبِى؟

قَالَ الوَالِدُ: حَدَثَ هَذَا الحِلْفُ بَعْدَ مِيلادِ النَّبِىِّ ﷺ، وَقَبْلَ مَبْعَثِهِ، إِذْ يَقُولُ المُؤَرِّخُونَ أنَّ النَّبِىَّ ﷺ شَهِدَ حِلْفَ الفُضُولِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ بِعِشْرِينَ سَنَةً.

أمَّا الحِلْفُ فَتَقُولُ عَنْهُ كُتُبُ التَّارِيخِ أنَّهُ:

كَانَ أَكْرَمَ حِلْفٍ سُمِعَ بِهِ، وَأَشْرَفَ حِلْفٍ فِى العَرَبِ، وكَانَ أوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَدَعَا إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمُّ النَّبِىِّ ﷺ، وكَانَ سَبَبُ الحِلْفِ أنَّ رَجُلاً مِنْ قَبِيلَةٍ اسْمُهَا زَبِيدُ جَاءَ إِلَى مَكَّةَ مُتَاجِرًا، فَاشْتَرَى العَاصِ بنُ وَائِلٍ البِضَاعَةَ مِنَ الرَّجُلِ الزَّبِيدِىِّ، وكَانَ العَاصِ بنُ وَائِلٍ ذَا قَدْرٍ كَبِيرٍ وَشَرَفٍ عَظِيمٍ بَيْنَ أهْلِ مَكَّةَ، وَمَعَ شَرَفِهِ العَظِيمِ هَذَا وَقَدْرِهِ الكَبِيرِ أبَى أنْ يَدْفَعَ لِلرَّجُلِ الزَّبِيدِىِّ ثَمَنَ بِضَاعَتِهِ، فَلَجَأَ الرَّجُلُ إِلَى بَعْضِ القَبَائِلِ المُتَحَالِفَةِ لِتُسَاعِدَهُ فِى أَخْذِ حَقِّهِ، فَرَفَضُوا إِعَانَتَهُ عَلَى العَاصِ بنِ وَائِلٍ، وَزَجَرُوهُ وَنَهَرُوهُ، فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ الزَّبِيدِىُّ الشَّرَّ، وَأدْرَكَ أنَّهُ لَنْ



يَسْتَطِيعَ أنْ يَنَالَ حَقَّهُ مَا دَامَ شُرَفَاءُ النَّاسِ وَعُظَمَاؤُهُمْ يَعْمَلُونَ حِسَابًا لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَلا يُرِيدُونَ نُصْرَةَ المَظْلُومِ مِنْ ظَالِمِه، صَعِدَ الرَّجُلُ فَوْقَ جَبَلِ أَبِى قُبَيْسٍ، وَصَاحَ بِأعْلَى صَوْتِهِ، لِيَسْمَعَ أهْلُ مَكَّةَ، وَخَاصَّةً الطَّائِفِينَ حَوْلَ الكَعْبَةِ . . قَالَ :

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِى الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أشْعَثَ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ والحَجَرِ
إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلا حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ

وَسَمِعَ أَهْلُ مَكَّةَ الصُّرَاخَ، فَتَجَمَّعُوا لِيَعْرِفُوا، وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الرَّجُلُ قِصَّتَهُ، وَكَيْفَ أنَّ العَاصَ بنَ وَائِلٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ البِضَاعَةَ وَرَفَضَ أنْ يُعْطِيَهُ الثَّمَنَ، وَكَيْفَ رَفَضَتْ قَبَائِلُ كَثِيرَةٌ أنْ تُعِينَهُ عَلَى رَدِّ حَقِّهِ مِنْ وَاحِدٍ مِنْ عُظَمَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَسْمَعُ مَعَ السَّامِعِينَ، فَدَفَعَتْهُ المُرُوءَةُ والشَّهَامَةُ أنْ يُنَادِيَ بِأعْلَى صَوتِهِ: واللَّهِ مَا لِهَذَا مِنْ مَتْرَكٍ .

فَاجْتَمَعَ بَنُو هَاشِمٍ وَزُهْرَةَ وَتَيْمِ بنِ مُرَّةَ، فِى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ، فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَتَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا بِاللَّهِ لَيَكُونُنَّ يَدًا وَاحِدَةً مَعَ المَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ حَتَّى يُؤَدِّيَ إِلَيْهِ حَقَّهُ مَا بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، وَمَا رَسَا (الجَبَلان) حِرَاءٌ وَثَبِيرٌ مَكَانَهُمَا . وَعَلَى التَّأسِّى فِى المَعَاشِ. فَسَمَّتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُولِ، وَقَالُوا :

لَقَدْ دَخَلَ هَؤُلاءِ فِى فَضْلٍ مِنَ الأَمْرِ. ثُمَّ مَشَى المُتَحَالِفُونَ إِلَى العَاصِ بنِ وَائِلٍ فَانْتَزَعُوا مِنْهُ بِضَاعَةَ الزَّبِيدِيِّ فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ بن عبد المطلب :

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ ... وإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أهْلَ دَارِ
نُسَمِّيهِ الفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا ... يَعِزُّ بِهِ القَرِيبُ لِذِى الجِوَارِ

وَسَكَتَ الوَالِدُ لحَظَاتٍ، اسْتَجْمَعَ فِيهَا أَفْكَارَهُ، وَأَصْغَتْ الأُسْرَةُ لِبَقِيَّةِ الحديثِ، قَالَ الوَالِدُ: وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُنَوِّهًا بِشَرَفِ هَذَا الحِلْفِ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَان حِلْفًا مَا أُحِبُّ أنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النِّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلامِ لأَجَبْتُ».

يُرِيدُ النَّبِيُّ ﷺ أنْ يُبَيِّنَ فِي ذَلِكَ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أنَّهُ لا يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ هُنَاكَ أحْلافٌ إلا عَلَى شَيْءٍ تَكُونُ فِيهِ مَصْلَحَةٌ للمجتَمَعِ مِثْلَ هَذَا الحِلْفِ، وَيُؤَكِّدُ النَّبِيُّ ﷺ أنَّهُ لَوْ دُعِيَ فِي الإِسْلامِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الحِلْفِ لأجَابَ دَاعِيَهُ، وَأنَّ وُجُودَ مِثْلِ هَذَا الحِلْفِ أحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ حُمْرِ النِّعَمِ، وَحُمرُ النِّعَمِ هِيَ الجِمَالِ الَّتِي لَوْنُ وَبَرِهَا أَحْمَرُ، وكَانَتْ أَفْضَلَ الجِمَالِ وَأغْلاهَا فِي زَمَنِهِمْ.

وَالآيَةُ الكَرِيمَةُ تُشَبِّهُ الإِنسَانَ الَّذِي يُعَاهِدُ إِنْسَانًا آخَرَ، أَوِ الأُمَّةَ الَّتِي تُعَاهِدُ أمَّةً أُخْرَى، بِتِلْكَ المرْأَةِ الحَمْقَاءِ الَّتِي تُتْعِبُ نَفْسَهَا فِي غَزْلِ خُيُوطِ القُطْنِ أوِ الصُّوفِ، ثُمَّ تَنقُضُ هَذَا الغَزْلَ، وَتَفُكُّهُ، وَتُعِيدُ الصُّوفَ أوِ القُطْنَ إِلَى حَالَتِهِ الأُولَى، صُوفًا مَنْفُوشًا أوْ قُطْنًا مَنْدُوفًا، لا رِبْحَ فِيهِ وَلا كَسْبَ إِلا التَّعَبَ وَالجهْدَ وَالعَنَاءَ فِي غَزْلِهِ ثُمَّ نَقَضِهِ ثُمَّ غَزْلِهِ مِنْ جَدِيدٍ.

قَالَتْ إِيمَانُ: وَهَلْ هَذَا مُجَرَّدُ تشْبِيهٍ، أمْ كَانَتْ هُنَاكَ فِعْلاً امْرَأَةٌ حَمْقَاءُ تَغْزِلُ طُولَ النَّهَارِ وَلا تُمْسِي إِلا وَقَدْ نَقَضَتْ مَا غَزَلَتْهُ؟

قَالَ الوَالِدُ: إِنَّ التَّشْبِيهَ وَاضِحٌ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ هُنَاكَ امْرَأَةٌ تَفْعَلُ ذَلِكَ أمْ لَمْ تَكُنْ، وَلَكِنَّ المُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ أنَّهُ كَانَتْ هُنَاكَ امْرأةٌ اسْمُهَا رَيْطَةُ، وَكَانَتْ حَمْقَاءَ تَنْقُضُ بِاللَّيْلِ مَا غَزَلَتْهُ بِالنَّهَارِ.

قَالَ أَشْرَفُ: رَيْطَةُ.. إِنَّهُ اسْمٌ غَرِيبٌ، وكَثِيرًا مَا كَانَ العَرَبُ يُسَمُّونَ أسْمَاءَ غَيْرَ مَفْهُومَةٍ، مِثْلَ رَيْطَةَ هَذِهِ.

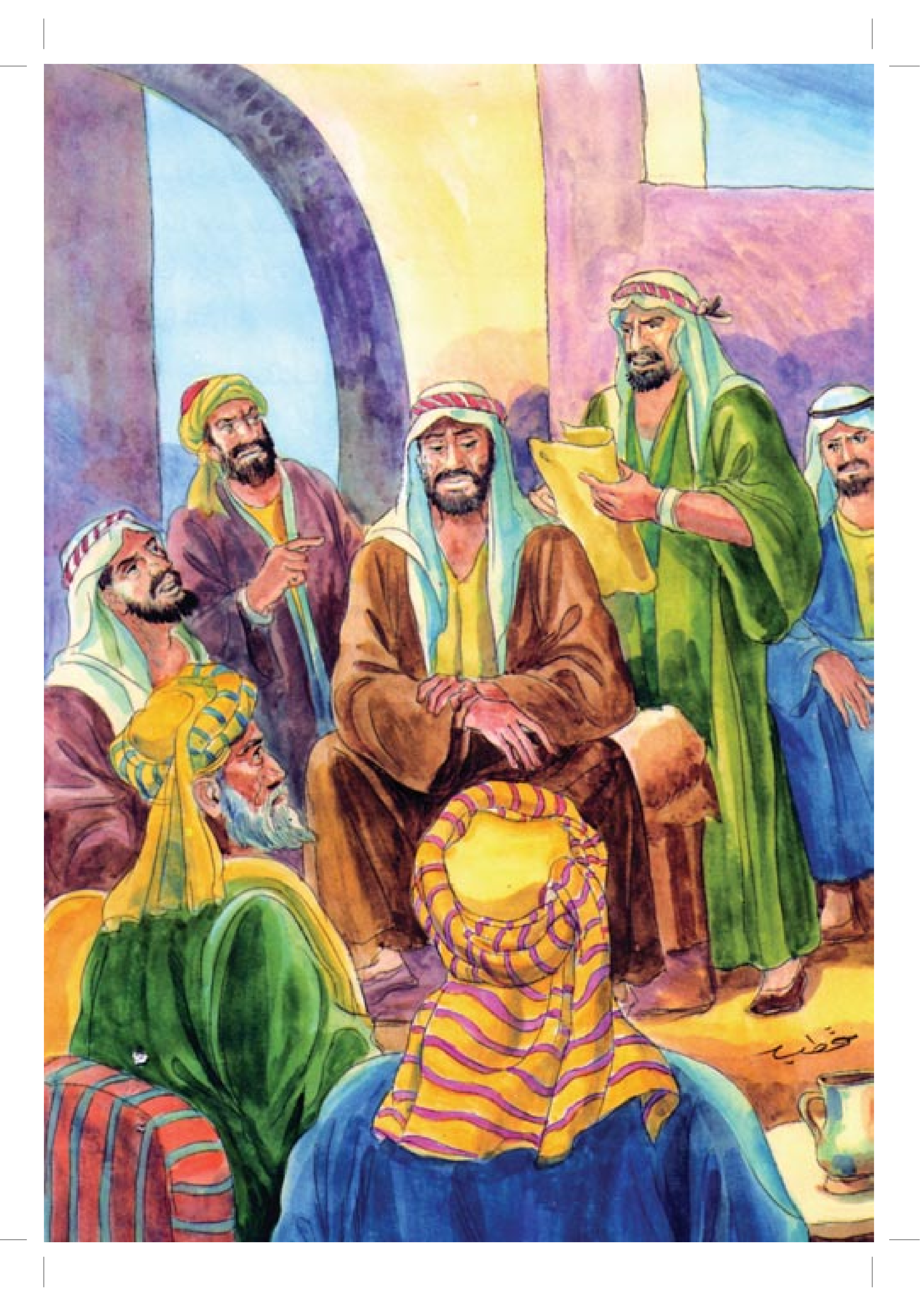
قَالَ الوَالِدُ: هَذَا مَا يَبْدُو لَنَا لأنَّ الزَّمَنَ قَدْ طَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَلَوْ نَظَرْتَ إِلَى هَذَا الاسْمِ نَظْرَتَهُمْ لَوَجَدْتَهُ مِنْ أَرَقِّ الأسْمَاءِ، إِذِ الرَّيطَةُ فِى كَلامِ العَرَبِ هِىَ الثَّوْبُ اللَّيِّنُ الرَّقِيقُ، وَلَكِنْ لَمْ تَنَلْ رَيْطَةُ هَذِهِ شَيْئًا مِنْ مَعْنَى اسْمِهَا، فَقَدْ ذَكَرُوا قِصَّتَهَا فَقَالُوا:

كَانَ فِى مَكَّةَ فَتَاةٌ مِنْ بَنِى مَخْزُومٍ اسْمُهَا رَيْطَةُ، وَكَانَ أَبُوهَا عَمرُو المَخْزُومِىُّ، وَاسِعَ الثَّرَاءِ، كَثِيرَ المَالِ، ذَا حَسَبٍ وَنَسَبٍ وَجَاهٍ. وَرَيْطَةُ وَهِىَ ابْنَتُهُ الوَحِيدَةُ، لَيْسَ لَهُ سِوَاهَا بَنَاتٌ وَلا بَنُونَ.

وَقَدْ جَرَتْ العَادَةُ فِى المُجْتَمَعِ أنَّ المَالَ كَثِيرًا مَا يُغَطِّى عُيُوبَ الإِنْسَانِ، وَأنَّ فَتَاةً مِثْلَ رَيْطَةَ هَذِهِ جَدِيرَةٌ بِأنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا الرَّاغِبُونَ فِى الزَّوَاجِ، حَتَّى وَلَوْ طَمَعًا فِى مَالِ أَبِيهَا وَجَاهِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ الأَمَلُ يُرَاوِدُ رَيْطَةَ وَيَشْغَلُهَا فِى أَكْثَرِ أوْقَاتِهَا، إِنَّهَا بِنْتُ وَاحِدٍ مِنْ أَكَابِرِ أغْنِيَاءِ مَكَّةَ، وَهِىَ وَحِيدَةُ أَبَوَيْهَا، وَلَنْ يَطُولَ انْتِظَارُهَا حَتَّى تَرَى صُفُوفَ الخَاطِبِينَ يَطْرُقُونَ بَابَهَا. وَلَكِنَّ الأيَّامَ تَمُرُّ، وَالشُّهُورُ تَتْبَعُ الشُّهُورَ، وَالأعْوَامُ تَتْلُو الأعْوَامَ، وَرَيْطَةُ قَابِعَةٌ فِى دَارِ أَبِيهَا تَحْلُمُ بِالشَّابِّ الَّذِى سَيَأتِى يَوْمًا يَدُقُّ بَابَهَا، وَلا يَخْرُجُ إِلا وَهِىَ مَعَهُ يَعِيشَانِ فِى بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ الجَدِيدِ السَّعِيدِ.

وَطَالَ الانْتِظَارُ، وَالفَتَيَاتُ اللاتِى فِى سِنِّهَا يَتَزَوَّجْنَ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تَبْقَ وَاحِدَةٌ مِنْ فَتَيَاتِ جِيلِهَا إِلا وَقَدْ تَزَوَّجَتْ، وَصَارَتْ أُمًّا، وَمَلأَتْ بَيْتَ زَوْجِهَا، فَمَا بَالُهَا هِىَ، تَتَقَدَّمُ السُّنُونُ بِهَا وَلا يَأتِى الخَاطِبُ المُنْتَظَرُ؟

وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ يَسْكُنُ اليَأسُ فِى قَلْبِ رَيطَةَ، وَيَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ تَتَكَاثَفُ الكَآبَةُ عَلَى مَلامِحِهَا، وَلا تَسْمَعُ إِلا بَعْضَ كَلِمَاتِ العَزَاءِ وَالتَّسْلِيَةِ مِنْ أَبِيهَا أوْ أُمِّهَا،


خطيب

فَتَسْتَجِيبُ لِتِلْكَ الكَلِمَاتِ طَائِعَةً أَوْ كَارِهَةً، وَتَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً لا تَدُلُّ إِلا عَلَى عُمْقِ الأَسَى وَشِدَّةِ الحُزْنِ، وَتَنْتَظِرُ..

يَقُولُ لَهَا أَبُوهَا: خَفِّفِى عَنْكِ بَعْضَ الحُزْنِ يَا رَيْطَةُ، فَسَأذْهَبُ غَداً إِلَى الكَعْبَةِ، وَأَدْفَعُ لِسَدَنَتِهَا المَالَ الكَثِيرَ، وَأتَقَدَّمُ إِلَى هُبَلَ، وَأُرِيقُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ دِمَاءَ الضَّحَايَا وَالقَرَابِينِ، وَأتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِالدَّمْعِ وَلَوْعَةِ القَلْبِ المَحْزُونِ أنْ يَكُونَ مَعَكِ، وَيُرْسِلَ إِلَيْكِ الزَّوْجَ الَّذِى تَرْغَبِينَ.

وَتَسْمَعُ رَيْطَةُ كَلِمَاتِ أَبِيهَا، وَلا تَمْلِكُ إِلا الابْتِسَامَةَ المُرَّةَ السَّاخِرَةَ، وَالأَسَى المُضْنِىَ، لِذَلِكَ الحَظِّ العَاثِرِ، وَتَعْتَزِلُ البَيْتَ، وَتَنْفَرِدُ وَحِيدَةً فِى إِحْدَى الغُرُفَاتِ، تُفَكِّرُ: لِمَاذَا هِىَ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ بَنَاتِ مَكَّةَ الَّتِى يُلازِمُهَا ذَلِكَ الحَظُّ المَشْئُومُ. لِمَاذَا تَمُرُّ بِهَا السِّنُونُ هَكَذَا وَهِىَ لا تَزَالُ عَانِسًا، وَهِىَ بِنْتُ عَمْرٍو المَخْزُومِىِّ ذِى الجَاهِ وَالمَالِ وَالحَسَبِ وَالنَّسَبِ، لِمَاذَا لا يَرْغَبُ أَحَدٌ فِى الاقْتِرَانِ بِهَا، وَلَوْ طَمَعًا فِى مَالِ أَبِيهَا، وَرَغْبَةً فِى الاحْتِمَاءِ بِجَاهِهِ وَسُلْطَانِهِ.

وَتَدْخُلُ الأمُّ عَلَى رَيْطَةَ فِى غُرْفَتِهَا فَتَجِدُهَا غَارِقَةً فِى بُحُورٍ مِنَ الهُمُومِ وَالأحْزَانِ، فَتَبْدَأُ هِىَ الأُخْرَى تُوَاسِيهَا بِكَلِمَاتٍ، لَعَلَّهَا تَبْعَثُ فِى نَفْسِهَا الأَمَلَ، أوْ تُعِيدُ إِلَيْهَا اطْمِئنَانَ القَلْبِ وَرَاحَةَ البَالِ.

تَقُولُ الأمُّ: أَبْشِرِى يَا رَيْطَةُ، فَقَدْ سَأَلْتُ العَرَّافَاتِ عَمَّا يخَبِّئُهُ لَكِ القَدَرُ فِى قَابِلِ الأيَّامِ، وَخَاصَّةً مَتَى تَتَزَوَّجِينَ، فَقَالَتْ لِى إِحْدَاهُنَّ: إِنَّ رَيْطَةَ سَتُزَفُّ إِلَى زَوْجِهَا المُرْتَقَبِ عِنْدَمَا يَصِيرُ القَمَرُ بَدْرًا، وَهَا هِىَ لَيَالِى الشَّهْرِ تَمُرُّ وَعَمَّا قَلِيلٍ سَيَصِيرُ القَمَرُ بَدْرًا.

تَقُولُ رَيْطَةُ: وَأَيْنَ يَا أُمِّى رَأَيْتِ العَرَّافَاتِ، وَأَنْتِ هُنَا فِى البَيْتِ لا تَبْرَحِينَ، وَلِقَاءُ العَرَّافَاتُ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْفَارٍ بَعْدَ أَسْفَارٍ وَأَنَا لَمْ أَرَكِ تُسَافِرِينَ، وَالعَرَّافَاتُ بَعِيدَاتٌ بَعِيدَاتٌ فَكَيْفَ أَجَبْنَكِ وَأَنْتِ لَهُنَّ تَسْأَلِينَ؟.

تَقُولُ الأُمُّ: الحَقُّ يَا بُنَيَّتِى أَنَّنِى لَمْ أُغَادِرْ مَكَّةَ، وَلَمْ أُسَافِرْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ العَرَّافَاتِ هُنَا يَطُفْنَ بِالبَيْتِ العَتِيقِ.. فَأَسْرَعْتُ إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَسْأَلُهَا، وَأَنَا طَامِعَةٌ أَنْ أَجِدَ عِنْدَهَا بُشْرَى تُدَاوِى جِرَاحَ قَلْبِى وَجِرَاحَ قَلْبِكَ الحَزِينِ.

وَمَرَّةً أُخْرَى يَعُودُ إِلَى قَلْبِ رَيْطَةَ الأَمَلُ، وَيَنْبَعِثُ فِى صَدْرِهَا شُعَاعٌ مِنْ رَجَاءٍ، فَلَعَلَّ هَؤُلاءِ العَرَّافَاتِ يَصْدُقْنَ هَذِهِ المَرَّةَ، وَإِنَّ مَوْعِدَهُنَّ سُطُوعُ البَدْرِ، وَمَا سُطُوعِ البَدْرِ بِبَعِيدٍ.

يَمُرُّ يَوْمٌ بَعْدَ يَوْمٍ، وَبُشْرَى العَرَّافَاتِ لا تَزَالُ تَعْتَمِلُ فِى وِجْدَانِهَا وَهِىَ تَنْظُرُ إِلَى الطَّوَّافِينَ وَالطَّوَّافَاتِ حَوْلَ الكَعْبَةِ، وَتَسْأَلُ نَفْسَهَا: أَلَيْسَ مِنْ بَيْنِ كُلِّ هَؤُلاءِ الرِّجَالِ وَاحِدٌ بَلَغَهُ صِيتُ أَبِى، عَمْرٍو المَخْزُومِيِّ، ذِى المَالِ وَالجَاهِ وَالحَسَبِ وَالنَّسَبِ العَرِيقِ، أَلَيْسَ فِى كُلِّ هَؤُلاءِ شَابٌّ يُغْرِيهِ مَالُ أَبِى فَيَأْتِى لِيَخْطُبَنِى.

وَتَعُودُ رَيْطَةُ إِلَى عُزْلَتِهَا، وَمَا زَالَتْ أُمُّهَا تُحَاوِلُ تَسْلِيَتَهَا فَتَقُولُ البِنْتُ: يَا أُمَّاهُ، لَقَدْ كَذَبَتِ العَرَّافَاتُ فِى بُشْرَاهُنَّ، وَهَا هُوَ القَمَرُ قَدِ اكْتَمَلَ بَدْرًا وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ لِيَخْطُبَنِى.

وَانْتَابَتْهَا نَوْبَةٌ مِنَ البُكَاءِ وَالتَّشَنُّجِ، وَالأُمُّ تُحَاوِلُ أَنْ تُهَدِّئَهَا فَتَقُولُ لَهَا: يَا بُنَيَّتِى العَرَّافَاتُ لا يَكْذِبْنَ، وَلَيْسَ مِنَ الحَتْمِ تَحْقِيقُ بُشْرَاهُنَّ فِى الشَّهْرِ نَفْسِهِ، لَقَدْ قُلْنَ أَنَّكِ سَتَتَزَوَّجِينَ عِنْدَمَا يَكْتَمِلُ القَمَرُ بَدْرًا، وَلَمْ يُحَدِّدْنَ الشَّهْرَ الَّذِى سَتُحَقَّقُ فِيهِ البُشْرَى، فَلَعَلَّهُ الشَّهْرُ القَادِمُ أَوِ الَّذِى يَلِيهِ.

وَلَمْ يَمُرَّ مِنَ الشُّهُورِ التَّالِيَةِ إِلا قَلِيلٌ، وَمَاتَ عَمْرُو المَخْزُومِىُّ أَبُو رَيْطَةَ، وَقَدْ تَرَكَ لَهَا ثَرْوَةً طَائِلَةً يُمْكِنُ أَنْ تَعِيشَ بِهَا هِىَ وَأُمُّهَا دُونَ حَاجَةٍ إِلَى مُسَاعَدَةٍ مِنْ أَىِّ إِنْسَانٍ.

وَلَكِنَّ الحَيَاةَ لَيْسَتْ مَالاً فَقَطْ، وَإِنَّمَا هِىَ بَيْتٌ وَأُسْرَةٌ؛ زَوْجٌ وَزَوْجَةٌ وَأَوْلادٌ، وَمُجْتَمَعٌ يَتَفَاعَلُ وَيَتَعَامَلُ بِالمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ وَالبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَمَا أَقْسَى العُزْلَةَ، وَمَا أَفْظَعَ الوِحْدَةَ، وَخَاصَّةً إِذَا تَجَاوَزَ الإِنْسَانُ سِنَّ الأَرْبَعِينَ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَنْ يُؤْنِسُ وَحْدَتَهُ، وَيُشَارِكُهُ فِى حَمْلِ مَا يَشْغَلُهُ مِنْ هُمُومِ الحَيَاةِ.

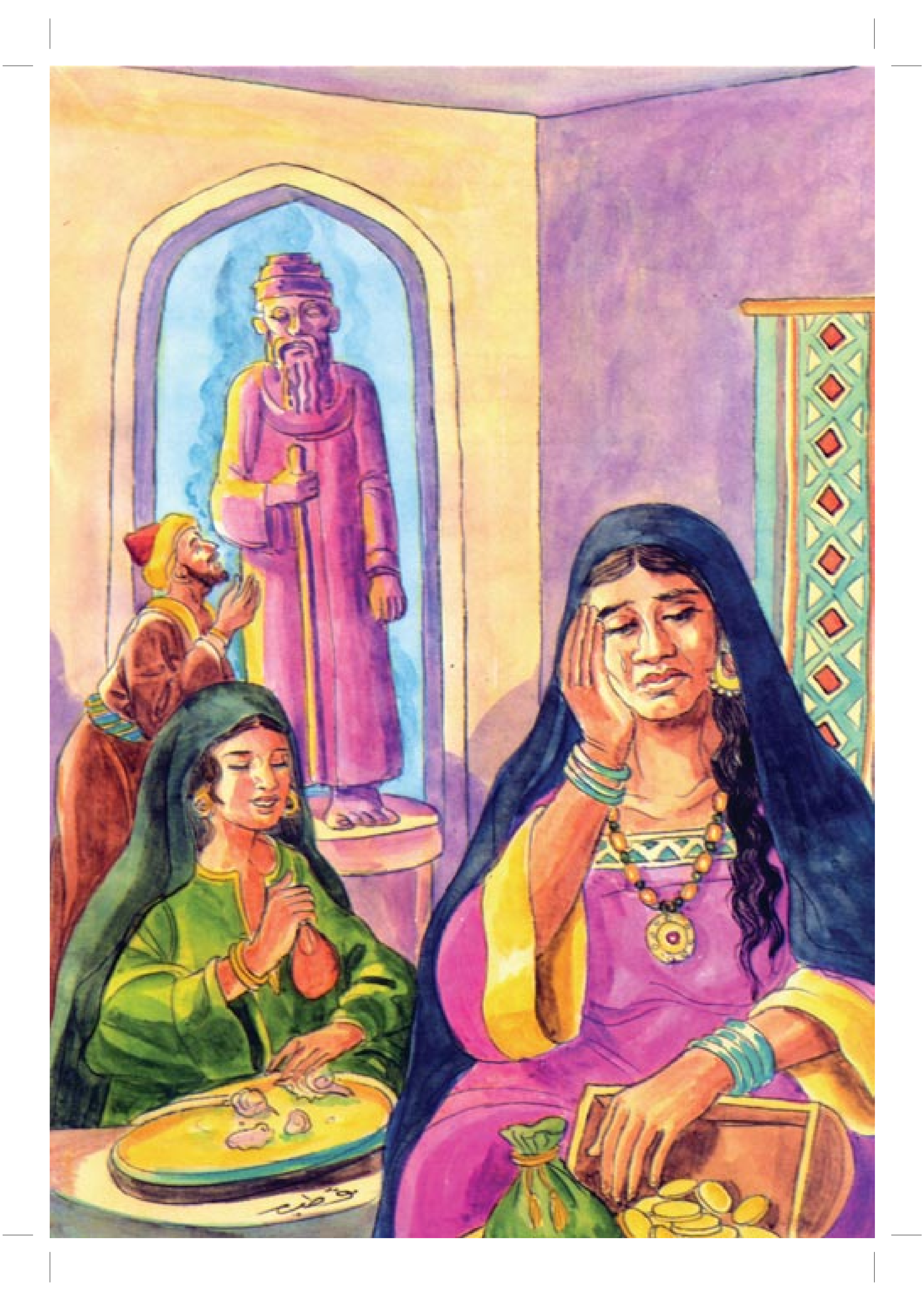
وَلَقَدْ تَجَاوَزَتْ رَيْطَةُ الأَرْبَعِينَ بِبِضْعِ سَنَوَاتٍ.

وَمَرَّةً أُخْرَى يَسْكُتُ الوَالِدُ لَحَظَاتٍ طَلَبَ فِيهَا أَنْ تَأْتِيهِ إِيمَانُ بِكُوبِ مَاءٍ بَارِدٍ لَعَلَّهُ يُبَرِّدُ شَيْئًا مِنْ حَرَارَةِ الجَوِّ الَّتِى دَهَمَتْ المَدِينَةَ فَجأَةً.. وَبَعْدَ أَنْ شَرِبَ وَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى اسْتَأْنَفَ الحَدِيثَ فَقَالَ:

بَقِيَتْ رَيْطَةُ الَّتِى تَجَاوَزَتِ الأَرْبَعِينَ مَعَ أُمِّهَا الَّتِى تَجَاوَزَتْ السَّبْعِينَ، وَقَدْ خَيَّمَ اليَأْسُ عَلَى حَيَاتِهِمَا، وَكَأَنَّمَا نَسِيَتَا أَمْرَ الخِطْبَةِ وَالخَاطِبِينَ، وَلَمْ يَعُدْ يَشْغَلُ بَالَهُمَا شَىْءٌ بِمَنْ يُرِيدُ الزَّوَاجَ وَمَنْ لا يُرِيدُ.

وَعَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَفَجْأَةً دُونَ انْتِظَارٍ يَأْتِى القَدَرُ بِمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالٍ، لَقَدْ جَاءَ الخَاطِبُ المأمُولُ، وَلَمْ يَكُنْ غَرِيبًا عَنْ رَيْطَةَ فَهُوَ ابْنُ خَالَتِهَا الَّذِى يَعِيشُ مَعَ أُمِّهِ فِى بَنِى تَمِيمٍ.. وَلَمْ يَرَ رَيْطَةَ وَلَمْ تَرَهُ طُولَ عُمْرِهَا.

دَقَّ البَابُ ذَاتُ صَبَاحٍ، وَقَامَتْ الأُمُّ لِتَفْتَحَهُ فَإِذَا بِأُخْتِهَا الَّتِى لَمْ تَرَهَا مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، وَاقِفَةً أَمَامَهَا وَبِجِوَارِهَا فَتًى فِى رَيْعَانِ الشَّبَابِ، مُكْتَمِلَ الرُّجُولَةِ، تَبْدُو عَلَيْهِ مَخَايِلُ النِّعْمَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ.



قَابلَتْ رَيْطَةُ وَأُمُّهَا ضَيْفَهُمَا بالتَّرْحِيب، وَجَلَسَت الأُمُّ بجوَار أُخْتِهَا تَتَبَادَلان الحَديثَ، وَتَتَسَاءَلان عَمَّا جَرَى وَمَا يَجْرِىَ لكُلٍّ منْهُمَا خلالَ هَذه السِّنين، وَلَمَّا اطْمَأَنَّت الضَّيْفَةُ لكَلام أُخْتهَا، وَعَرَفَتْ أَنَّ زَوْجَهَا عُمرًا المخزوميَّ قَدْ مَاتَ بَادلَتْهَا بَعْضَ كَلمَات العَزَاء وَالتَّسْليَة، وَقَالَتْ: وَأنَا أَيْضًا لَمْ يَبْقَ فِى حَيَاتى سوَى صَخْرٍ ابْنِى هَذَا، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ عوَضًا عَنْ أَبيه، كَمَا أتَمَنَّى أنْ تَكُونَ رَيْطَةُ ابْنَتُك عوَضًا لَك عَنْ كُلِّ مَا فَاتَ.

وَالتَمَعَتْ عَيْنَا رَيْطَةَ ببَريق الأمَل، وَسَأَلَتْ نَفْسَهَا: هَلْ يُمْكنُ أنْ يَتَقَدَّمَ ذَلكَ الشَّابُّ الصَّغيرُ لخطْبَتى، وَأنَا قَدْ تَجَاوَزْتُ الأَرْبَعينَ بَيْنَمَا هُوَ – كَمَا يَبْدُو منْ مَخَايله – لَمْ يَتَجَاوَز العشْرينَ بَعْدُ.

وَتَرَدَّدَ السُّؤالُ مُلحًّا عَلَى ذهْن رَيْطَةَ، وَرَاحَتْ فِى حُلْمِ يَقظَةٍ، أَخْرَجَهَا منْهُ كَلامُ صَخْرٍ نَفْسه وَهُوَ يَقُولُ:

مَرْحَبًا بك يَا ابْنَةَ الخَالَة، لَقَدْ سَعدْتُ كَثيراً برُؤْيَتك، إذْ حَدَّثَتْنى أُمِّى كَثيراً عَنْك وَنَحْنُ فِى الطَّريق منْ ديَارنَا فِى بَنى تَميمٍ حَتَّى وَصَلْنَا هُنَا، وَكَمْ أَكُونُ سَعيداً إذَا تَحَقَّقَ الأمَلُ الَّذى جئْنَا منْ أَجْله.

وَقَدْ كَانَتْ أُمُّهُ تَقُولُ لَهُ: يَا بُنَىَّ، يَا صَخْرُ، هَا نَحْنُ أُولاء مُقْبلُونَ عَلَى مَكَّةَ، وَهُنَاكَ سَتَلْتَقى بخَالَتكَ وَابْنَة خَالَتكَ، فَلا تَخْذُلْنى يَا وَلَدى، وَلا تَرْفُضْ لِى طَلَبًا، سَأخْطُبُ لَكَ ابْنَةَ خَالَتكَ، وَأنَا أَعْرفُ أنَّهَا لَنْ تَرُوقَ لَكَ لأنَّهَا دَميمَةٌ بشَكْلٍ مَلْحُوظٍ، وَلَكنَّ الميرَاثَ الَّذى تَرَكَهُ أَبُوهَا، وَيُمْكنُ أَنْ تَسْتَوْلى عَلَيْه بَعْدَ الزَّوَاج منْهَا، سَيَكُونُ عَوْنًا لَكَ فِى كَثيرٍ منْ شُئُون حَيَاتكَ، المُهمُّ أنْ تَحْصُلَ عَلَى ذَلكَ المَال أوَّلاً، ثُمَّ لتَفْعَلْ بَعْدَ ذَلكَ مَا تَشَاءُ منْ طَلاقهَا أوْ الاقْترَان بغَيْرهَا، وَسَتَجدُ

الكَثِيرَ مِنَ الجَمِيلاتِ اللاتِى تَتَمَنَّى كُلٌّ مِنْهُنَّ أنْ تَكُونَ زَوْجًا لِفَتًى فِى مِثْلِ جَمَالِكَ وَثَرْوَتِكَ الَّتِى سَتَحْصُلُ عَلَيْهَا فِى القَرِيبِ.

تَبَادَلَتْ رَيْطَةُ وَصَخْرٌ بَعْضَ الكَلِمَاتِ، وَقَدْ وَعَدَهَا أَنَّهُ سَوْفَ يَعُودُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، لِيَتَزَوَّجَهَا، وَيَعِيشَ مَعَهَا إِلَى آخِرِ العُمْرِ، وَلا يَعُودُ لِدِيَارِهِ فِى بَنِى تَمِيمٍ، وَلَنْ يَبْعُدَ عَنْ رَيْطَةَ الحَبِيبَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَهْمَا كَانَتْ الظُّرُوفُ، وَمَهْمَا اسْتَجَدَّ مِنْ أُمُورٍ.

وَزَغْرَدَتِ الفَرْحَةُ فِى عَيْنَى رَيْطَةَ، وَابْتَهَجَ قَلْبُهَا لِهَذَا الكَلامِ الَّذِى لَمْ تَسْمَعْ مِثْلَهُ مِنْ قَبْلُ، وَوَعَدَتْ صَخْرًا أنَّهَا سَتَكُونُ فِى انْتِظَارِهِ حَتَّى يَعُودَ وَمَعَهُ أفْرَاحُ عُمْرِهَا كُلِّهِ وَسَعَادَةُ زَمَانٍ بِطُولِهِ، كَانَتْ تَنْتَظِرُهَا مِنْ سِنِينَ.

وَانْتَهَتْ أيَّامُ الزِّيَارَةِ، وَغَادَرَتِ الخَالَةُ وَابْنُهَا صَخْرٌ مَكَّةَ، عَلَى وَعْدٍ بِأَنَّ الانْتِظَارَ لَنْ يَطُولَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ سَيَكُونُ صَخْرٌ وَرَيْطَةُ مِنْ أَسْعَدِ الأزْوَاجِ فِى البَلَدِ الحَرَامِ.

وَفِى أيَّامِ الانْتِظَارِ مَاتَتْ أُمُّ رَيْطَةَ، وَبَقِيَتْ وَحْدَهَا تَضُمُّهَا جُدْرَانُ بَيْتٍ حَزِينٍ، وَقَدْ ارْتَسَمَتْ عَلامَةُ الكَآبَةِ عَلَى كُلِّ مَلْمَحٍ فِيهِ.

وَكَانَ صَخْرٌ وَأُمُّهُ فِى أَتَمِّ سَعَادَةٍ عِنْدَمَا بَلَغَهُمَا نَبَأُ وَفَاةِ أُمِّ رَيْطَةَ، فَبِوَفَاتِهَا أَصْبَحَتْ رَيْطَةُ وَحِيدَةً، فِى انْتِظَارِ مَنْ يُؤْنِسُ وَحدَتَهَا وَيُزِيلُ وَحْشَتَهَا، وَيُسَلِّيهَا بَقِيَّةَ أيَّامِ عُمْرِهَا.

وَإِنَّ مَوْتَ أُمِّ رَيْطَةَ سَيَكُونُ سَبَبًا فِى تَسْهِيلِ الكَثِيرِ مِنَ الأُمُورِ الَّتِى تَشْغَلُ بَالَ صَخْرٍ وَأُمِّهِ.

وَجَاءَا مِنْ دِيَارِ بَنِى تَمِيمٍ إِلَى مَكَّةَ لِيَتِمَّ الزَّوَاجُ، وَتُزَفَّ رَيْطَةُ بَعْدَ طُولِ انْتِظَارٍ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ ذَوِى أرْحَامِهَا، تَأمَلُ أنْ يَكُونَ لَهَا ظِلاً ظَلِيلاً وَسَكَنًا، وَمَوَدَّةً وَرَحْمَةً، كَمَا هُوَ المَرْجُو فِى حَيَاةِ أىِّ أُسْرَةٍ سَعِيدَةٍ.

وَبَعْدَ الزِّفَافِ غَادَرَتْ أُمُّ صَخْرٍ مَكَّةَ عَائِدَةً إِلَى قَوْمِهَا مِنْ بَنِى تَمِيمٍ، وَبَقِيَتْ رَيْطَةُ وَمَعَهَا زَوْجُهَا صَخْرٌ فِى مَكَّةَ، وَهِىَ لا تُصَدِّقُ أَنَّهَا صَارَتْ زَوْجَةً فِى بَيْتٍ يُغْلَقُ عَلَيْهَا هِىَ وَزَوْجِهَا لا يُكَدِّرُ صَفْوَهُمَا مُكَدِّرٌ، وَلا تَخْطُرُ التَّعَاسَةُ لَهُمَا عَلَى بَالٍ.

وَلَكِنَّ أَيَّامَ السَّعَادَةِ لَمْ تَطُلْ، إِذْ لَمْ يَمْضِ أُسْبُوعٌ عَلَى الزَّوَاجِ حَتَّى رَأَتِ التَّغَيُّرَ فِى نَفْسِ صَخْرٍ وَمُعَامَلَتِهِ لَهَا، وَلَمَّا سَأَلْتُهُ عَمَّا أَصَابَهُ قَالَ: لَقَدْ بَدَأْتُ أَشْعُرُ بِالْمَلَلِ.

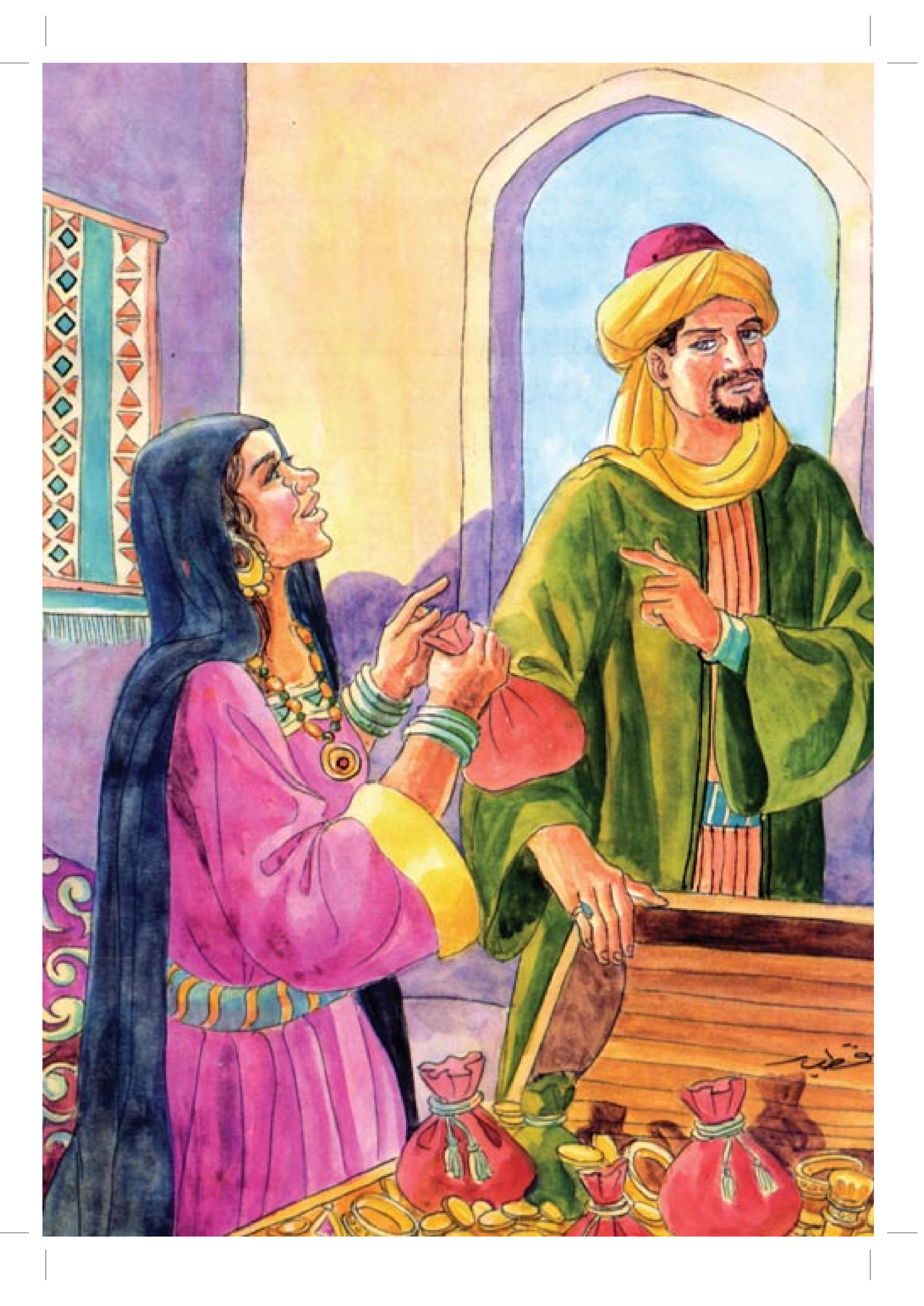
وَكَأَنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتُ صَخْرٍ سَهْمًا أَصَابَ كَبِدَهَا، أَوْ طَعْنَةَ خِنْجَرٍ مَزَّقَتْ فُؤَادَهَا، فَصَرَخَتْ فِيهِ: هَكَذَا سَرِيعًا يَا صَخْرُ، تَشْعُرُ بِالْمَلَلِ، وَنَحْنُ لَمْ يَمْضِ عَلَى زِفَافِنَا عَشْرَةَ أَيَّامٍ؟ هَلْ مَلَلْتَنِى يَا صَخْرُ؟ أَمْ مَلَلْتَ هَذِهِ الرَّفَاهِيَةَ الَّتِى أُحِيطُكَ بِهَا؟ أَخْبِرْنِى يَا صَخْرُ مَاذَا أَصَابَكَ؟ وَلِمَاذَا تُرِيدُ أَنْ تَتَحَوَّلَ عَنِّى الآنَ، وَهَا هُوَ مَالِى كُلُّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ تَصْنَعُ فِيهِ مَا تَشَاءُ.

قَالَ صَخْرٌ: إِنَّ مَالَكِ هُوَ السَّبَبُ فَأَنَا لا أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ عَالَةً عَلَى أَحَدٍ.

قَالَتْ رَيْطَةُ: إِنَّكَ لَسْتَ عَالَةً عَلَىَّ، أَنْتَ زَوْجِى، وَمَالِى هُوَ مَالُكَ، وَلَنْ أُحَاسِبَكَ عَلَى شَىْءٍ تَنَالُهُ مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَ صَخْرٌ: وَأَنَا أَرْغَبُ فِى تَنْمِيَةِ هَذَا المَالَ، وَقَدْ فَكَّرْتُ فِى التِّجَارَةِ، فَلْتُعْطِينِى مَالاً أُجَهِّزُ بِهِ قَافِلَةً إِلَى الشَّامِ أَبِيعُ وَأَشْتَرِى، وَأُضَاعِفُ لَكِ هَذَا المَالَ الَّذِى قَدْ يَنْفَدُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا بِسَبَبِ الإِنْفَاقِ وَالاسْتِهْلاكِ وَعَدَمِ التَّدْبِيرِ وَالاسْتِثْمَارِ، وَلَنْ أَغِيبَ عَنْكِ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً أَعُودُ بَعْدَهَا بِالرِّبْحِ الوَفِيرِ.

وَصَدَّقَتْهُ رَيْطَةُ وَأَعْطَتْهُ مِنَ المَالِ مَا يُرِيدُ.. وَغَادَرَ مَكَّةَ وَهُوَ عَازِمٌ عَلَى أَلا يَعُودَ.. وَمَرَّتْ شُهُورٌ وَشُهُورٌ، وَرَيْطَةُ تَسْتَقْبِلُ القَوَافِلَ القَادِمَةَ مِنَ الشَّامِ، تَسْأَلُ عَنْ



صَخْرٍ، وكَانَتِ الإجَابَةُ واحِدَةً عَلَى كُلِّ لِسَانٍ، نَحْنُ لَمْ نَرَ صَخْرًا، ولَمْ يُسَافِرْ مَعَنَا فِى أىِّ قَافِلَةٍ إِلَى الشَّامِ.

وَشَدَّتْ رَيْطَةُ رِحَالَهَا إِلَى بَنِى تَمِيمٍ تَبْحَثُ عَنْ زَوْجِهَا، فَوَجَدَتْهُ هُنَاكَ، ولَمْ تَكَدْ تَرَاهُ حَتَّى اسْتَرَاحَتْ نَفْسُهَا بَعْضَ الشَّىءِ، وَرَاحَتْ تُعَاتِبُهُ عَلَى فِعْلَتِهِ هَذِهِ.. فَاعْتَذَرَ لَهَا كَاذِبًا، وَقَالَ: إِنَّ المَالَ قَدْ سُرِقَ مِنِّى.

قَالَتْ لَهُ: وَلِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِى بِذَلِكَ، لِكَىْ أُعْطِيَكَ مَبْلَغًا آخَرَ مِنَ المَالِ، وَتَذْهَبَ بِهِ إِلَى التِّجَارَةِ الَّتِى تَرْغَبُهَا؟

قَالَ صَخْرٌ: وَهُوَ يَشْمَخُ بِأَنْفِهِ كِبْرًا واسْتِهْزَاءً بِبِنْتِ خَالَتِهِ الَّتِى اغْتَصَبَ مَالَهَا: وَمَاذَا تَكُونِينَ أنْتِ بِالنِّسْبَةِ لِى. إِنَّكِ لَمْ تَعُودِى زَوْجَةً لِى، انْظُرِى! إِنَّنِى لا أزَالُ فِى شَرْخِ الشَّبَابِ، وَأنْتِ عَجُوزٌ، مَا كَانَ يَنْبَغِى أَنْ أتَزَوَّجَكِ، وَأقْتُلَ شَبَابِى وَأجْمَلَ أيَّامِ عُمْرِى فِى أَحْضَانِ عَجُوزٍ مِثْلِكِ، قَدْ بَلَغَتْ مِنَ الكِبَرِ عِتِيًّا.

وَذُهِلَتْ رَيْطَةُ لِسَمَاعِ هَذَا الكَلامِ، وكَأنَّمَا أَصَابَهَا شَىْءٌ مِنْ خَبَلٍ، فَلَمْ تَعُدْ تَعْرِفُ شَيْئًا عَنْ أىِّ شَىْءٍ، وَلَمَّا أَفَاقَتْ وَاسْتَرَدَّتْ عَافِيَتَهَا، وَعَزَمَتْ عَلَى الرَّحِيلِ سَأَلَتْ عَنْ صَخْرٍ، فَقَالُوا لَهَا: لَقَدْ خَلَعْنَاهُ مِنَ القَبِيلَةِ، فَهُوَ مَطْرُودٌ فِى الصَّحَرَاءِ بَعْدَ أنْ فَعَلَ مَعَكِ مَا فَعَلَ.

وَقَالَ لَهَا كِبَارُ بَنِى تَمِيمٍ: هَذَا يَا بُنَيَّةُ قَانونُ القَبِيلَةِ غَيْرُ المَكْتُوبِ، ضَرورَةُ الوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالغَادِرُونَ وَالخَوَنَةُ لَيْسَ لَهُمْ بَيْنَنَا مَكَانٌ فَنَحْنُ نَخْلَعُهُمْ وَنَحْرِمُهُمْ مِنَ الانْتِسَابِ إِلَى القَبِيلَةِ، فَيُصْبِحُونَ صَعَالِيكَ مَطْرُودِينَ جَزَاءً لَهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مِنَ السُّوءِ.

قَالَ أَيْمَنُ: وَهَذَا مَا تَفْعَلُ بَعْضُ الحُكُومَاتِ فِى عَصْرِنَا، إِذْ يَحْرِمُونَ بَعْضَ الرَّعَايَا مِنْ جِنْسِيَّتِهِمْ فَيُصْبِحُونَ مُشَرَّدِينَ فِى العَالَمِ، لا يَجِدُونَ دَوْلَةً إِلَيْهَا يَنْتَمُونَ.

قَالَ الوَالِدُ: هَذَا صَحِيحٌ، وَهُوَ مَا حَدَثَ لِصَخْرٍ، وَلِكَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهِ الغَادِرِينَ.

قَالَتْ إِيمَانٌ: وَلَكِنِّى حَتَّى الآنَ لا أَجِدُ مُنَاسِبَةً تَرْبِطُ بَيْنَ قِصَّةِ رَيْطَةَ هَذِهِ، وَمَا فِى الآيَةِ مِنْ صِفَاتِ الغَدْرِ فِى العُهُودِ، فَلَعَلَّ المَقْصُودَ هُوَ صَخْرٌ الَّذِى لَمْ يَفِ بِعَهْدِهِ لِرَيْطَةَ!!

قَالَ الوَالِدُ: لا يَا بُنَيَّتِى، وَاسْمَعِى إِلَى بَقِيَّةِ القِصَّةِ:

تَأَكَّدَتْ رَيْطَةُ مِنْ غَدْرِ صَخْرٍ، فَعَادَتْ إِلَى دَارِهَا فِى مَكَّةَ وَالحُزْنُ يَمْلأُ قَلْبَهَا، وَأَيَّامُهَا تَسِيرُ عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الكَآبَةِ وَالتَّعَاسَةِ، وَأَرَادَتْ رَيْطَةُ أَنْ تَعْمَلَ أىَّ عَمَلٍ تَقْطَعُ بِهِ الوَقْتَ، وَمَدَّتْ يَدَهَا إِلَى مَغْزِلٍ كَانَتْ تَرَى أُمَّهَا تَغْزِلُ بِهِ الصُّوفَ، وَأَتَتْ بِقِطَعٍ مِنَ الصُّوفِ هَيَّأَتْهَا لِلْغَزْلِ، وَأَخَذَتْ تَغْزِلُ، وَوَجَدَتْ فِى الغَزْلِ تَسْلِيَةً لَهَا، فَاسْتَمَرَّتْ فِيهِ حَتَّى أَتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ. فَوَضَعَتْ غَزْلَهَا وَرَاحَتْ تُفَكِّرُ: لِمَاذَا تَغْزِلُ؟ إِنَّهَا لَيْسَتْ فِى حَاجَةٍ إِلَى المَالِ، وَإِذَا كَانَتْ الفَتَيَاتُ يَغْزِلْنَ لِيَصْنَعْنَ لأَنْفُسِهِنَّ ثِيَابًا جَدِيدَةً، فَهِىَ لَيْسَتْ فِى حَاجَةٍ إِلَى الثَّوْبِ الجَدِيدِ، وَلِمَنْ سَتَلْبَسُ الجَدِيدَ. أَلِصَخْرٍ الغَادِرِ، أَمْ لِمَجْهُولٍ سَوْفَ يَأْتِى لِيُعِيدَ دَوْرَةَ الأَحْزَانِ؟

وَانْكَبَّتْ رَيْطَةُ عَلَى غَزْلِهَا الَّذِى تَعِبَتْ طُولَ نَهَارِهَا فِى غَزْلِهِ، لِتَنْقُضَهُ وَتَفُكَّ خُيُوطَهُ، وَتُعِيدَهُ صُوفًا مَنْفُوشًا كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ تَغْزِلَهُ.

لَمْ تَصْنَعْ ذَلِكَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَلَكِنْ أَصْبَحَتْ تِلْكَ عَادَةً لَهَا، اشْتَهَرَتْ بِهَا بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ، تَغْزِلُ طُولَ النَّهَارِ، وَتَنْقُضُ بِاللَّيْلِ غَزْلَهَا، لِتُعِيدَ الكَرَّةَ

فِى اليَـوْمِ التَّالِى، وَبِذَلِكَ عَـرَفَهَا أَهْلُ مَكَّةَ وَاشْتَـهَرَتْ بَيْنَهُـمْ بـ «رَيْطَةَ الحمقَاءِ».
وَجَاءَتْ الآيَةُ الكَرِيمَةُ تَذْكُرُ لَهُمْ مَثَلاً حَيًّا يَعِيشُ بَيْنَهُمْ.

وَمِنْ هُنَا كَانَ التَّشْبِيهُ الوَارِدُ فِى الآيَةِ الكَرِيمَةِ، تَحْذِيرًا لِلنَّاسِ ألا يُبْطِلُوا أَعْمَالَهُمْ، وَيُبَدِّدُوا طَاقَتَهُمْ، وَجَهْدهُمْ، وَخَاصَّةً الوَفَاءَ بِالوُعُودِ، وَالاسْتِمْسَاكَ بِالْمَوَاثِيقِ، لِكَىْ لا يَكُونُوا مِثْلَ هَذِهِ المرأةِ الحمقاءِ الَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا.

وَلِنَقْرَأْ مَعًا الآيَاتِ الكَرِيمَاتِ:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) ﴾ .

الأسئلة

١– اشرح الآيتين الكريمتين اللتين وردتا فى هذه القصة شرحًا موجزًا، وبين معانى المفردات فيهما.

٢– ما الذى تعرفه عن حلف الفضول، ولماذا أثنى عليه النبى ﷺ وقال إنه لو دُعِىَ إلى مثله فى الإسلام لأجاب؟

٣– ما رأيك فى اسم ريطة، وما المعنى اللغوى له الذى نظر إليه أبواها عندما اختاراه اسمًا لابنتيهما؟

٤– ما أسباب حزن ريطة طول حياتها؟ وماذا كانت نتيجة زواجها من ابن خالتها صخر؟

٥– ما هى العلاقة بين قصة ريطة والصفات التى تنصَ عنها الآية الكريمة؟

٦– نقض العهد مذموم وقبيح، اذكر الحديث النبوى الذى يوضح لنا ذلك.

درس النحو

قلنا فى الدروس السابقة ما يسمى بالتوابع، وهى أربعة ذكرنا منها النعت والعطف، وفى هذا الدرس نذكر ثالث التوابع وهو التوكيد.

ومعنى التوكيد فى اللغة التقوية، تقول: لَقَدْ أكَّدْتُ كَلامِى، أىْ قَوَّيْتُهُ، وَجَعَلْتُ السَّامِعَ يَثِقُ بِمَضْمُونِهِ.

أمَّا فِى اصْطِلاحِ النَّحويِّينَ فَالتَّوْكِيدُ نَوْعَانِ:

التوكيد اللفظى، والتوكيد المعنوى.

فالتأكيد اللفظى يكون بتكرير اللفظ المراد تأكيده، وإعادته بعينه أو بلفظ مرادف له يعطى معناه، سواء كان اسمًا كأن تقول: رَأَيْتُ الرَّئِيسَ الرَّئِيسَ. أم كان فعلاً نحو: رأيْتُ رَأيْتُ الرَّئِيسَ. أم كان حرفًا، مثل: ثُمَّ ثُمَّ شُفِىَ المَرِيضُ.

والتوكيد المعنوى هو التابع الذى يرفع احتمال السهو فى ذكر المتبوع، كأن تقول: كَلَّمْتُ الوَزِيرَ نَفْسَهُ فِى هَذَا الأَمْرِ. لأنك لو قلت: كَلَّمْتُ الوَزِيرَ فِى هَذَا الأَمْرِ، لظن السامع أنك كلمت مدير مكتب الوزير ليبلغه ما تريد، ولكنك لو قلت: كَلَّمْتُ الوَزِيرَ نَفْسَهُ، لزال هذا الاحتمال وتأكد السامع أنك كلمت الوزير شخصيًّا، وهذا التابع يوافق متبوعه فى إعرابه، أى فى حالة الرفع والنصب والجر، أما ألفاظ التوكيد المعنوى هذا فسوف نشرحها فى الدرس القادم.

وَإِلَى اللِّقَاءِ فِى القِصَّةِ التَّالِيَةِ

(سبحان الذى أسرى بعبده)

سلسلة
أطفالنا في رحاب القرآن الكريم
آيات وقصة

١ - الفاتحة أم الكتاب
٢- خليفة الله
٣- يا بنى إسرائيل
٤- بقرة بنى إسرائيل
٥- هاروت وماروت
٦- بيت الله
٧- قبلة المسلمين
٨- وقاتلوا فى سبيل الله
٩- طالوت وجالوت
١٠ - قدرة الله
١١ - امرأة عمران
١٢ - وإذ قالت الملائكة يا مريم
١٣ - ابنة عمران
١٤ - عيسى فى السماء
١٥ - نصر الله
١٦ - اختبار الله
١٧ - حياة الشهداء
١٨ - صلاة الحرب
١٩ - الأرض المقدسة
٢٠ - قابيل وهابيل
٢١ - مائدة من السماء
٢٢ - هل يستوى الأعمى والبصير
٢٣ - إبراهيم يبحث عن الله
٢٤ - بنو آدم والشيطان
٢٥ - أصحاب الجنة وأصحاب النار
٢٦ - نوح عليه السلام وقومه
٢٧ - هود عليه السلام وقومه
٢٨ - صالح عليه السلام وقومه
٢٩ - لوط عليه السلام وقومه
٣٠ - شعيب عليه السلام وقومه
٣١ - موسى عليه السلام وفرعون والسحرة
٣٢ - قوم موسى وقوم فرعون
٣٣ - موسى عليه السلام وبنو إسرائيل
٣٤ - بنو إسرائيل عبدوا العجل
٣٥ - سفهاء بنى إسرائيل
٣٦ - موسى عليه السلام والأسباط
٣٧ - ضحية الشيطان
٣٨ - دفاع عن الرسول
٣٩ - وعد الله
٤٠ - توزيع الغنائم
٤١ - قوة الصابرين
٤٢ - أسرى بدر عتاب وفداء
٤٣ - يوم الحج الأكبر.
٤٤ - يوم حنين.
٤٥ - عزير آية الله للناس.
٤٦ - الشهور العربية والأشهر الحرم.
٤٧ - وإذ يمكر بك الذين كفروا.
٤٨ - لا تحزن إن الله معنا.
٤٩ - المنافقون فى المدينة.
٥٠ - خذ من أموالهم صدقة.
٥١ - مسجد التقوى ومسجد الضرار.
٥٢ - المسلمون فى ساعة العسرة.
٥٣ - الثلاثة الذين خُلِّفوا.
٥٤ - والله يعصمك من الناس.
٥٥ - القرآن يتحدى.
٥٦ - وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر.
٥٧ - يا بنى اركب معنا.
٥٨ - يوسف عليه السلام فى غيابة الجب.
٥٩ - يوسف عليه السلام السجين المظلوم.
٦٠ - سر قميص يوسف عليه السلام.
٦١ - لقاء الأحبة.
٦٢ - ثم استوى على العرش.
٦٣ - حتى يغيروا ما بأنفسهم.
٦٤ - زمزم نبع الأنبياء.
٦٥ - مقام إبراهيم مصلًى.
٦٦ - ونبئهم عن ضيف إبراهيم.
٦٧ - أصحاب الأيكة.
٦٨ - فاصدع بما تؤمر.
٦٩ - ويخلق ما لا تعلمون.
٧٠ - وعلامات وبالنجم هم يهتدون.
٧١ - رياحين البيوت شقائق الرجال.
٧٢ - التى نقضت غزلها.
٧٣ - سبحان الذى أسرى بعبده.
٧٤ - فتية آمنوا بربهم.
٧٥ - صاحب الجنتين.
٧٦ - موسى عليه السلام والعبد الصالح.
٧٧ - ذو القرنين.
٧٨ - يا يحيى خذ الكتاب بقوة.
٧٩ - واذكر فى الكتاب مريم.
٨٠ - ذلك عيسى ابن مريم.
٨١ - واذكر فى الكتاب إسماعيل.
٨٢ - واذكر فى الكتاب إدريس.
٨٣ - وكلهم آتيه يوم القيامة فردا.
٨٤ - الوادى المقدس طوى.
٨٥ - وجعلنا من الماء كل شىء حى.
٨٦ - النار بردا وسلاما.
٨٧ - حكمة سليمان عليه السلام
٨٨ - وأيوب إذ نادى ربه.
٨٩ - يونس عليه السلام فى بطن الحوت.
٩٠ - سليمان عليه السلام وملكة سبأ.
٩١ - موسى عليه السلام القوى الأمين.
٩٢ - قارون وعاقبة المفسدين
٩٣ - زيد... هو ابن حارثة.
٩٤ - الأحزاب وجنود الله الخفية.
٩٥ - جنات سبأ وجزاء الكفور.
٩٦ - وفديناه بذبح عظيم.
٩٧ - بيعة الرضوان وصلح الحديبية.
٩٨ - جنة الدنيا ومتاع الغرور.
٩٩ - أصحاب الأخدود والثابتون على الإيمان.
١٠٠ - للبيت رب يحميه.

تطلب جميع منشوراتنا من وكيلنا الوحيد بالكويت والجزائر
دار الكتاب الحديث